

البركة في الإسلام

معناها وأسبابها وموانعها وآثارها في حياة المسلم

تأليف وإعداد مدارج
الطبعة الإلكترونية المنقحة

البركة في الإسلام

المجلد الثاني

أسبابها في حياة المسلم وموانعها

تأليف وتوزيع مدارج

النسخة المراجعة

٣١ أكتوبر ٢٠٢٦

إلى كل من يرجو خير النعمة وحسن الانتفاع بها، وإلى من علمنا ودلنا
على الخير. نسأل الله أن ينفع بهذا العمل قارئه، وأن يجزي والدينا
ومعلمينا ومن أسهم فيه خير الجزاء.

المحتويات

٥	١ — الإيمان والتقوى والاستقامة
١٠	٢ — القرآن والذكر والدعاء
١٩	٣ — الشكر وحفظ النعمة
٢٧	٤ — البركة في الرزق والكسب والمعاملة
٣٥	٥ — الصدقة والإنفاق وبقاء النفع
٤٠	٦ — البركة في الزواج والبيت والذرية وصلة الرحم
٤٧	٧ — البركة في الطعام والشراب
٥٧	٨ — البركة في الوقت والعمر والعلم والعمل
٦٤	٩ — موانع البركة وطريق الإصلاح
٦٨	المصادر والمراجع

مقدمة المجلد

يعرض هذا المجلد الأسباب المشروعة لطلب البركة وما ورد في موانعها، بعد تأصيل المعنى في المجلد الأول. رتبت أبوابه من أصول العبادة إلى الكسب والإنفاق والبيت والطعام والعمر والعلم، ثم ختمت بالإصلاح.

لكل شاهد موضع أصلي يشرح فيه، وتستعمل الإحالة حين يلتقي أكثر من باب على الدليل نفسه. ويقصد من الأمثلة تقريب المعنى في حياة المسلم، دون إنشاء وعد محدد بالدخل أو الصحة أو النجاح. فما ثبت في الوحي يؤمن به، وما يختاره القارئ من وسائل مباحة يقدر بحسب حاله.

أما جداول العمل والاختبارات وخطط المتابعة فقد جمعت في المجلد الثالث، ليبقى هذا المجلد متصلاً في قراءته، وليجد من يريد التطبيق أدواته في مكان واحد. ويمكن الرجوع بين المجلدين بحسب المسألة، ولا يلزم لإنجاز التطبيق نسخ الشروح أو جمع كل الأعمال في يوم واحد.

١ — الإيمان والتقوى والاستقامة

طلب البركة متصل بعبادة الله والاستقامة على أمره. يبدأ هذا المجلد بالإيمان والتقوى والتوكل والتوبة، ثم يفصل التطبيقات التي وردت فيها نصوص أخص؛ فلا تنفصل المعاملة اليومية عن هذا الأصل.

الإيمان والتقوى وفتح البركات

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١. قال البغوي: «يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض»^٢. وهما صورتان عظيمتان واضحتان من الرزق، وبهما تقوم حياة الإنسان والحيوان والنبات.

لكن تنزيل الآية على الواقع يحتاج إلى عدل علمي. نؤمن بأن الإيمان والتقوى سبب للخير، وأن التكذيب والمعاصي أسباب للعقوبات ونزع البركات على الجملة. ولا نملك أن نجزم عند كل جفاف أو أزمة بأننا عرفنا ذنبا بعينه أراد الله عقوبة

1 القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٩٦. — الشاهد

2 البغوي، معالم التنزيل، تفسير سورة الأعراف، الآية ٩٦. — الشاهد

الناس به، أو أن نغير مبتلى ونزكي ناجيا. النص يعلم الأمة طريقها، ولا يمنح الأفراد علما بتفاصيل القضاء الخفي.

التقوى والمخرج والرزق

يحب الإنسان الآية التي تفتح له نافذة في الجدار: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾³. وهي آية تملأ القلب رجاء، ولكنها لا تعلمه الهروب من الواجب ثم انتظار الفرج. جاءت في سياق بيت يمر بساعة شديدة: فراق أو إمساك، عدة وشهادة، معروف ينبغي أن يبقى معروفا حتى عند انكسار الود. وفي قلب هذه التفاصيل جاء الوعد.

ليس المخرج بابا سريرا وراء الشريعة؛ المخرج يولد أحيانا حين يقف العبد عند حد الله في لحظة كان يستطيع فيها أن يظلم. يتقي الله في كلمة يملك بها جرحا، وفي مال يستطيع حبسه، وفي شهادة قد يحرفها، وفي قرار أسري يغريه الغضب أن يجعله انتقاما. ثم لا يعلم من أين يأتيه اللطف. هذا

3 القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآيتان 2-3. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)

هو موضع الجمال: الأمر واضح، أما طريق الرزق فليس في يده.

وفسر ابن كثير التقوى هنا بفعل المأمور وترك المحذور، والمخرج بالخلاص من الضيق، والرزق بأنه يأتي من جهة لا تخطر للعبد. فلا تبق التقوى إحساسا عاما بالصالح، ولا تتحول إلى بطاقة يبرزها المرء طلبا للنتيجة. إنها طاعة واقعة في موضعها. قد يكون موضعها سوقا، وقد يكون بيتا، وقد يكون رسالة لا ترسلها لأن فيها عدوانا، أو حقا تؤديه مع أنك أحوج ما تكون إليه.⁴

لهذا لا نعد الناس بأن كل من قال كلمة «التقوى» ستنزل في حسابه زيادة معلومة. الوعد حق، لكن صورة إنجازهِ بيد الله، وعلمه أوسع من حسابنا. قد يكون المخرج مالا، وقد يكون نجاة من صفقة تستنزف العمر، أو انكشاف حقيقة قبل فوات الأوان، أو قلبا يثبت فلا يبيعه الضيق. البركة هنا أن تبقى على الطريق وأنت تبحث عن الباب، لا أن تجعل الباب شرطا لبقائك على الطريق.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الطلاق، الآيتان ٢-٣. — [الشاهد](#)

التوكل والأخذ بالأسباب

وصف الرزق بأنه يأتي من جهة لا يحتسبها العبد يفتح الرجاء، ولا يتضمن أمرا بترك السعي. يطلب المسلم الكسب المشروع، ويحسن تدبيره، ثم يفوض إلى الله النتيجة وما لا يحيط به علمه.

الاستغفار والتوبة

قال نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾⁵

جاء الاستغفار في سياق الدعوة إلى الله والتوبة إليه؛ فلا يفصل لفظه عن ترك الكفر والمعصية وأداء الحقوق.

قد يكرر الإنسان الاستغفار آلافاً وهو مصر على حق لا يردّه، فيحتاج أن يفهم قبل أن يزيد العدد. اللفظ عبادة عظيمة، والعدد التنظيمي قد يعينه على الاستمرار، لكن صدق الاستغفار يطال موضع الذنب. من استغفر من ظلم العامل دفع أجره، ومن استغفر من غش المشتري بين ورد، ومن استغفر من قطيعة بدأ بما يقدر عليه من صلة.

5 القرآن الكريم، سورة نوح، الآيات ١٠-١٢. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)؛ [الشاهد ٣](#)

ولا نعهده بعد ذلك بمطر خاص أو عدد من الأبناء. نقرأ الوعد في سياقه، ونرجو سعة فضل الله، ونعلم أن أعظم ما يعود به المستغفر هو أن يفتح له باب الرجوع بعد أن أغلقه الإصرار. فإذا صلح الطريق كانت الخيرات التي يختارها الله فضلاً فوق فضل.

٢ — القرآن والذكر والدعاء

وصف الله كتابه بالبركة، وعلمنا النبي ﷺ أذكارا وأدعية في أحوال الحياة. يجمع الباب ما يتصل بالتلاوة والاتباع والذكر والدعاء، وترد الأدعية المرتبطة بمناسبة خاصة في باب تلك المناسبة.

الكتاب المبارك والاتباع

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^٦. وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^٧. وقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^٨.

في الآيات الثلاث يتكرر أصل لا ينبغي أن يغيب: هذا الكتاب مبارك لأنه كلام الله المنزل، حق في خبره، عدل في حكمه، هدى لمن أقبل عليه. لكن القرآن لا يترك وصف البركة عائماً؛ يحيطه بأفعال: إنذار، وإيمان، ومحافظة على الصلاة،

6 القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٩٢. — [الشاهد](#)

7 القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٥٥. — [الشاهد](#)

8 القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٥٠. — [الشاهد](#)

واتباع، وتقوى، ورجاء رحمة. كأن الوحي يرد على من يريد بركة بلا تكليف، ونورا لا يفتح له قلبه، ورحمة لا يسلك طريقها.

قد يعتني الإنسان بمصحفه، يضعه في موضع كريم، ويمنع عنه الامتهان، وهذا من حسن الأدب. لكن الأدب مع المصحف لا يكتمل إذا هجر ما فيه. ليست البركة في أن يبقى الكتاب مغلقا يحرس الغرفة من خيال مجهول، ولا في أن تعلق آياته تميمة ثم تخالف أوامره في البيع والبيت واللسان. بركته تهدي العقل، وتوقظ القلب، وتقوم العمل، وتكشف الباطل، وترد الإنسان كلما شرد إلى ربه.

التدبر والعمل

تظهر بركة الانتفاع بالقرآن في فهم الهدى واتباعه: يستبين القارئ طريق الكسب والإنفاق، وما يجب عليه في عبادته ومعاملته، ويجد في الوعد والوعيد ما يصلح رجاءه وخوفه. وقد يبقى مقدار المال والوقت على حاله، ويعظم نفعه حين تستقيم وجهته.

ومن هنا كان التدبر باباً لا ترفاً. قال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁹. التدبر ليس بحثاً عن غرائب لا يعرفها الأولون، بل نظر يجمع معنى الآية بسياقها، ويرد المتشابه إلى المحكم، ثم يسأل القلب: أين أنا من هذا؟ وما الذي يجب أن يتغير؟

أخذ سورة البقرة

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». قال معاوية: «بلغني أن البطلة السحرة»¹⁰.

في الأخذ صحبة وبذل وعمل، فلا تختزل بركة القرآن في وجود المصحف في البيت مع الإعراض عن هدايته.

9 القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٢٩. — [الشاهد](#)

10 صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث ٨٠٤. الغياية: ما يظل الإنسان، والفرقان: جماعتان. — [الشاهد](#)

يدخل في الأخذ أن تقرأ السورة، وأن تعاودها حتى تألف خطابها، وأن تتعلم ما تحتاج إليه من معناها، وأن تعمل بما عرفت. ولا يلزم أن يبلغ كل مسلم مرتبة المفسر؛ لكن لا يليق أن نطلب بركة الكتاب ونحن نهجر أمره ونهيه، أو نستعمل آياته تعاويز منفصلة عن التوحيد والعمل.

التزام الفضل الوارد

لم يثبت في هذه النصوص أن طريقة شخصية أو عددا مخترعا للقراءة يضمن عائدا ماليا أو شفاء معيناً. يلتزم القارئ ما ورد، ويتعلم أحكام التلاوة والرقية من أهل العلم، ولا ينسب إلى القرآن وعدا صنعه المسوق أو صاحب التجربة.

الفرق دقيق لكنه مهم. التنظيم يقول: هذا المقدار يناسب قدرتي. والتشريع المحدث يقول: لهذا العدد سر وفضل ووعد من الله. الأول وسيلة بشرية قابلة للتغيير، والثاني نسبة إلى الدين لا تجوز بلا علم.

وليس في التحفظ على الأعداد المبتدعة تقليل من قدرة القرآن على الشفاء والهداية. العكس هو الصحيح: نحفظ مقامه من أن يربط بتجارب تسويقية؛ فإن تأخرت النتيجة اتهم المريض نفسه أو اتهم القرآن، مع أن الوعد المحدد لم يأت من الوحي أصلاً.

الذكر عند الدخول والطعام

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع النبي ﷺ يقول «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء».¹¹

يعلم الحديث الأسرة أن تبدأ نعمتها بذكر الله. وفيه فضل مخصوص للذكر عند الدخول والطعام، من غير وعد بزوال جميع مشكلات البيت.

ويحسن أن يصحب ذكر الله عند الدخول استحضر حق الأهل وحسن معاملتهم. فقد يرجع الإنسان مثقلاً بتعب العمل أو غاضباً من أمر لقيه؛ فيحتاج مع الذكر إلى الرفق وضبط اللسان، حتى يأمن أهله أذاه وينتفعوا بحسن صحبته.

قراءة سورة البقرة في البيت

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».¹²

11 صحيح مسلم، كتاب الأشربة، حديث ٢٠١٨. — [الشاهد](#)

12 صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث ٧٨٠. — [الشاهد](#)

جاء الفضل مع قراءة سورة البقرة في البيت. والقرآن خطاب يتلى ويسمع ويتدبر؛ فيحرص أهل الدار على القراءة، ولا يكتفون بوضع المصحف ثم إهمال تلاوته وهدايته.

يحفظ لهذا الحديث لفظه وفضله الخاص: قراءة سورة البقرة في البيت. وأما تفاصيل الانتفاع بالقرآن فقد سبقت في أول هذا الباب؛ فلا تقوم كثرة المصاحف وحدها مقام التلاوة والاتباع.

الدعاء ومشیئة الإجابة

تتنوع أدعية البركة بحسب مناسباتها. تقدمت أدعية النبي ﷺ للمدينة ولأصحابه في المجلد الأول، وتأتي أدعية الزواج والطعام مع أبوابها في هذا المجلد. ويجمع هذا الموضع الدعاء بصلاح الدين والمعاش وما يعين على الانتفاع بالنعيم.

يصح الدعاء السبب المشروع: يسأل المسلم البركة في كسبه وهو يتحرى الحلال ويصدق في معاملته. ولا يملك العبد صورة الإجابة أو وقتها، كما يبين الحديث الآتي.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما من مسلم يدعو، ليس بإثم ولا بقطيعة رحم، إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة،

وإما أن يدفع عنه من سوء مثلها». قال: «إذا نكث». قال: «الله أكثر».¹³

الدعاء عبادة؛ فيه فقر وذكر وثناء ورجاء. وقد بين الحديث أن الإجابة لا تنحصر في تعجيل المطلوب، ولذلك لا يتحول تأخر الصورة التي أحبها العبد إلى تهمة لربه أو لنفسه بغير علم.

الدعاء بصلاح الدين والدنيا والآخرة

كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر».¹⁴

يجمع الدعاء صلاح الدين والمعاش والمعاد. الدين يحفظ الوجهة، والدنيا موضع العمل، والآخرة دار الرجوع والجزاء؛ ثم يسأل العبد الخير في حياته والراحة من الشر عند موته.

13 البخاري، الأدب المفرد (٧١٠)؛ صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧). —

[الشاهد ١؛ الشاهد ٢](#)

14 صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث ٢٧٢٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه. — [الشاهد](#)

حين يختل الدين قد تتحول أدوات الدنيا إلى أسباب ظلم وإن كثرت. وحين تهمل الدنيا قد يعجز الإنسان عن حقوق كان يمكنه أداؤها، أو يحمل غيره نتيجة فوضاه باسم التوكل. وحين تغيب الآخرة يصبح النجاح قصير النظر؛ يربح صاحبه اللحظة ويخسر ما بعدها.

سؤال الهدى والتقوى والعفاف والغنى

ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى»¹⁵. جاور الغنى العفاف والتقوى، فلم يبق رقما منفصلا عن القلب. الغنى المطلوب يعين على الاستغناء عما في أيدي الناس، ولا يفتح باب التعدي.

وقد يكون محدود المال غني النفس، لكنه لا يستعمل القناعة لتجميل الظلم الواقع عليه. يطالب بأجره، ويسعى لتحسين حاله، ويأخذ حقه، من غير أن يجعل المال تعريفه الوحيد. القناعة ليست مطالبة الفقير بالصمت، بل تحرير كل إنسان من عبودية لا تنتهي.

15 صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث ٢٧٢١، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. — [الشاهد](#)

العلم النافع والرزق الطيب والعمل المتقبل

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم «اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا».¹⁶

يبدأ اليوم بثلاثة أبواب يتحرك فيها الناس: ما يعرفون، وما يكسبون، وما يفعلون. لكن كل باب يحمل ميزانه معه.

ليس السؤال علما كثيرا فقط، بل علما نافعا. وليس رزقا واسعا فحسب، بل طيبا. وليس عملا ظاهرا، بل متقبلا. هذه الصفات تنقل النظر من الحجم إلى الحقيقة. قد تمتلئ الذاكرة ولا يهتدي القرار، ويكثر الدخل ويخبث الطريق، ويشتهر العمل ولا يعلم صاحبه أقبل أم لا.

16 سنن ابن ماجه (٩٢٥)؛ صححه محققو دار السلام. — [الشاهد](#)

٣ — الشكر وحفظ النعمة

الشكر يربط النعمة بواهبها، وحفظها يصل الحمد بحسن الانتفاع. يجمع الباب النصوص التي تبني هذا المعنى، ثم يبين القناعة وضبط الإسراف دون تحويل طلب البركة إلى حرمان من الحلال.

الشكر ووعد الزيادة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾¹⁷

تستقبل النعمة بالإقرار بفضل الله وحمده واستعمال ما أعطى في طاعته. ووعد الزيادة يبعث على الشكر والرجاء، وتبقى صور العطاء وأوقاته إلى الله. فلا يتوقف الشكر على أن يرى العبد زيادة مالية عاجلة، ولا يكون طلب المزيد عذرا لإهمال ما بين يديه.

17 القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية ٧. — [الشاهد](#)

الحمد على الطعام والشراب

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».¹⁸

بين اليد والضم لحظات قصيرة، لكن القلب يستطيع أن يجعل منها طريقاً إلى الله. الطعام الذي تكرر حتى صار مألوفاً قد يعود بالحمد آية: أرض أخرجت، وماء نزل، وأيد عملت، وجسد قبل الغذاء، ورب ساق كل ذلك إلى عبد لا يملك خلق حبة ولا حفظ نبضة.

والحديث لا يحصر الشكر في الشعور. من حمد الله على الطعام ثم أفسده أو أسرف فيه أو منع حقاً واجباً لم يتم له معنى الشكر. اللسان يعلن، والقلب يشهد، والجوارح تصدق. ومن صدق الحمد أن يحفظ الصالح من الطعام، وأن يطعم المحتاج بغير من، وأن يؤدي ثمن العامل، وألا يجعل الوفرة مبرراً للاستخفاف بما يسد جوع إنسان.

18 صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث ٢٧٣٤. — [الشاهد](#)

الشكر والقناعة

حين يقارن الإنسان نعمته بما في يد غيره تصغر، ولو كانت عظيمة. يرى بيتاً أوسع فينسى ستر بيته، ويرى جسداً أقوى فيغفل عما بقي له من قدرة، ويرى أبناء غيره في لحظة جميلة ولا يرى ما وراء الصورة من ابتلاء ومسؤولية. المقارنة التي لا تنضبط تسرق الشكر من غير أن تضيف نعمة.

ليس المطلوب أن ينكر الإنسان حاجته إلى التحسن أو يسمي التقصير قناعة. يشكر الموجود ويسعى إلى المفقود بالحلال. الفرق أن السعي الشاكر لا يسب الحاضر، ولا يبيح الظلم من أجل القادم، ولا يعلق رضاه كله على نقطة متحركة. يعرف قيمة ما في يده، ولذلك يحسن استعماله وهو يطلب الفضل.

الأمن والرزق من النعم

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾¹⁹. يجمع المثل

نعمتين لا يشتري الفرد إحداها وحده: الأمن، وتدفق الرزق في مجتمع مستقر.

الأمن نعمة شفافة؛ لا يراه الإنسان مثل ما يرى البيت، لكنه شرط أن يخرج إليه ويعود. لا يعلقه في خزانته، لكنه يسكن في طريق الطفل، وفي باب المتجر، وفي نوم الأسرة. فإذا طال وجوده ظنه الناس طبيعة لا منحة، وربما أنفقوا أيامهم في الشكوى من تفاصيل صغيرة لأن الأصل الكبير لم يعد مرئياً.

فسر ابن كثير المثل بأهل مكة، وجعل من أعظم كفر النعمة تكذيب الرسول ﷺ. لذلك لا يصح أن نحول الآية إلى درس إداري مجرد عن الوحي. أصل النعمة أن يعرف الناس ربهم ويقبلوا هداه، لا أن يحسنوا إدارة الموارد ثم يظنوا أنهم استغنوا عن المنعم.²⁰

الاستعانة بالله على الشكر

كان في يد سليمان عليه السلام ملك لا يكاد يجتمع لبشر: علم، وسلطان، وجند، وفهم لمنطق الطير، وتسخير مما قصه القرآن. ومع ذلك لم تكن استجابته للنعمة أن يقف عند نفسه

20 تفسير ابن كثير، النحل: ١١٢. — [الشاهد](#)

معجبا بما أوتي. حين سمع قول النملة تبسم، ثم رفع حاجته إلى ربه: ﴿فَتَبَسَّمْ صَاحِبًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾²¹.

فسر الطبري طلبه «أوزعني» بالإلهام، ونقل عن ابن زيد معنى الإلهام والتحريض على الشكر.²² في هذا المعنى ينكسر وهم دقيق: أن صاحب النعمة يملك الشكر كما يملك الشيء الذي يشكره. الحقيقة أنه محتاج إلى نعمة أخرى كي يحسن استقبال الأولى. يحتاج أن يراها، وأن ينسبها إلى واهبها، وأن يستعملها فيما يرضيه، وأن يحفظ قلبه من أن يجعلها شهادة باستحقاقه.

الانتفاع بالحلال

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾²³. تبدأ الآية بإذن واضح: خذوا زينتكم، وكلوا واشربوا. ثم يأتي الحد: لا تسرفوا. هذا الترتيب يعالج انحرافين قد يلبسان

21 القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ١٩. — [الشاهد](#)

22 تفسير الطبري، النمل: ١٩. — [الشاهد](#)

23 القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٣١. — [الشاهد](#)

ثوب العبادة؛ من يحرم ما أحل الله ليبدو أزهّد، ومن يطلق شهوته ثم يسمي كل ما يقدر على شرائه نعمة ينبغي أن يستمتع بها.

كان في سياق الآية من يتعرى عند الطواف، ومن يحرم بعض الحلال على نفسه تعبداً. لذلك لا يصح أن نستخرج منها خطاباً يحمل الإنسان ذنباً كلما أكل طيباً أو لبس جميلاً. الله الذي نهى عن الإسراف هو الذي أذن بالطيبات، وشكر النعمة لا يكون بإهانتها ولا بادعاء أن الفقر المقصود عبادة في ذاته.²⁴

ولذلك لا ينبغي أن يتحول هذا الكتاب إلى قائمة من الأشياء التي يحق للناس اقتناؤها أو لا يحق. قد يكون الشيء نفسه توسعة مباحة لأسرة، وسفها يضيع حقاً لأسرة أخرى. وقد تكون وجبة كريمة شكراً واجتماعاً على خير، وقد تكون استعراضاً يقترض صاحبه لأجله ثم يترك دينه يثقل أيامه. السؤال ليس: كم بلغ الثمن فقط؟ بل: من أين جاء؟ وما الحق الذي زاحمه؟ وما الأثر الذي تركه؟

24 تفسير ابن كثير، الأعراف: ٣١. — [الشاهد](#)

حفظ النعمة من الإسراف

يدخل في شرح النهي عن الإسراف تجاوز الحلال إلى الحرام ومجاوزة الحد في الأكل والشرب. وتقدير الحد لا ينفصل عن القدرة والحاجة والحقوق الواجبة؛ فالسعة المباحة تختلف باختلاف أحوال الناس.²⁵

المبلغ جزء من الصورة، وليس الصورة كلها. ينظر المرء إلى قدرته، وإلى من تلزمه نفقتهم، وإلى حاجته الحقيقية، وإلى العرف الذي لا يخالف الشرع، وإلى ما يترتب على اختياره من ضرر. ولا تكون هذه المراجعة محكمة للآخرين؛ إنها أمانة يبدأ بها الإنسان في بيته ودفتره.

الاعتدال في الإنفاق

وصف الله عباد الرحمن فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾²⁶. القوام عدل يستقيم به الأمر. ليس خطأ حسابيا ثابتا بين رقمين، ولا نسبة واحدة، تنسخها كل أسرة في ميزانيتها. هو أن يأخذ كل حق موضعه، فلا يبتلع الترف نفقة العيال، ولا يبتلع الخوف من المستقبل

25 تفسير ابن كثير، الأعراف: ٣١. — [الشاهد](#)
26 القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٦٧. — [الشاهد](#)

حق المحتاج، ولا تذهب الصدقة المستحبة بما يحتاجه من
تلزم نفقته.²⁷

27 تفسير الطبري، الفرقان: ٦٧. — [الشاهد](#)

٤ — البركة في الرزق والكسب والمعاملة

ورد النص ببركة البيع مع الصدق والبيان، وبذهابها مع الكذب والكتمان. ومن هذا الدليل يبدأ النظر إلى الكسب والمعاملة، ثم إلى طريقة أخذ المال وقضاء الحقوق؛ فسلامة السبب جزء من طلب الخير فيه.

الصدق والبيان في البيع

قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا — أو قال حتى يتفرقا — فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».²⁸

يضع الحديث البركة في قلب معاملة يومية. الصدق والبيان حقان: ألا يكذب أحد المتبايعين، وألا يكتم ما يتوقف عليه رضا الطرف الآخر. فطلب البركة يبدأ بأمانة الطريق الذي يأتي منه الربح.

وقد يظن الكاذب أنه ربح لأنه أخذ ثمنًا أعلى. الحديث لا ينفي وقوع الربح الظاهر؛ بل يخبر عن شيء أعمق: محق

28 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث ٢٠٧٩، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه. —

البركة. قد يبقى الرقم ويذهب خيره، أو يكون المال سبب خصومة وقلق، أو يحمل صاحبه وزرا، أو يضيع سريعا. ولا نجزم بصورة المحق في كل صفقة، لكننا نعلم أن الكذب ليس طريقا مباركا ولو صفق له ميزان قصير النظر.

أما الصادق، فلا نعهده بأن كل صفقة ستتم أو أن هامشه سيكون الأكبر. قد يخسر بيعا لأنه كشف العيب، لكنه حفظ حق أخيه وأطاع ربه. والبركة التي وعد بها الحديث أوسع من مكسب لحظي، وأصدق من الدعاية التي تجعل الأخلاق حيلة لزيادة المبيعات.

أخذ المال بسخاوة نفس

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: «فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا». فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا. فقال عمر: «إني

أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه». فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.²⁹

يكشف الحديث ما لا يظهر في كشف الحساب: هيئة القلب وهو يأخذ.

سخاوة النفس هنا ليست تبذير المال، وإنما أخذ بلا حرص متطلع ولا تعلق يذل صاحبه. وإشراف النفس أن تمتد إلى ما في أيدي الناس، تراقبه وتشتتبه وتطلبه حتى يصير الأخذ عادة لا تسد حاجة القلب. ولذلك شبه النبي ﷺ صاحبه بمن يأكل ولا يشبع. ليست مشكلته في غياب الطعام فقط؛ إن آلة الاكتفاء داخله أصابها الخل.

استجاب حكيم رضي الله عنه للموعظة بعزم قوي. ولا يجعل اختياره لنفسه تحريما لما أباحه الله أو لما كان حقا للإنسان؛ فالمقصود هنا تربية القلب على الاستغناء، وحفظ كرامته من التطلع إلى أيدي الناس.

29 صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث ١٤٧٢. «لا أرزأ»: لا آخذ منه شيئا. أثبت الخبر كاملاً دون سلسلة الإسناد. — [الشاهد](#)

الكسب من عمل اليد

عن المقدام رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».³⁰

في العمل كرامة واستغناء ونفع: يباشر الإنسان سببه، ويعرف قدر الكسب، ويحفظ وجهه ما استطاع عن سؤال الناس.

بركة العمل لا تعني أن كل عامل سيفتني، ولا أن الفقر دليل كسل. فقد تضيق الأسواق، ويظلم أرباب العمل، ويمرض القادر، وتختلف الأرزاق بحكمة الله. النص يقرر فضيلة الكسب من اليد، ولا يعطينا حق محاكمة كل فقير أو تحويل الرزق إلى امتحان أخلاقي بسيط.

وفي المقابل، لا ينبغي أن تتحول أحاديث البركة إلى بديل عن الإتقان. التاجر يضبط حسابه، والصانع يتعلم صنعته، والموظف يحفظ الوقت، ثم يسألون الله البركة. ومن تمام الأخذ بالأسباب إصلاح الميزانية المهملة، كما أن جودة الميزانية لا تستغني عن توفيق الله. البركة ليست إعفاء من العمل؛ إنها استمداد للخير في العمل وثمرته.

30 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث ٢٠٧٢. — [الشاهد](#)

صحة المعاملة مع طلب البركة

تقدم خبر عروة البارقي في المجلد الأول، في باب بركات النبوة. وناقش ابن حجر في شرحه طرق الرواية والإذن وبيع الفضولي وإمضاء النبي ﷺ للتصرف.³¹ ويفيد ذلك ضرورة التمييز بين الدعاء بالبركة وبين صحة التصرف المالي التي تعرف بأحكامها.

لا يكفي أن يقول التاجر: أنا موفق، أو أن يكثر ربحه، حتى يكون تصرفه صحيحاً. المال مال صاحبه، والإذن له حد، والعقد له أحكام. عروة جمع مهارة التفاوض والأمانة في الرجوع بما اشترى وربح، ثم جاء الدعاء النبوي فضلاً من الله. لم يكن الدعاء بديلاً عن الصدق، ولا الربح شهادة مستقلة بأن كل صورة من المعاملة صحيحة.

نية أداء الدين

قال النبي ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله».³² ونقل ابن حجر عن

31 ابن حجر، فتح الباري، كتاب المناقب، شرح حديث عروة البارقي، رقم ٣٦٤٢. —

الشاهد

32 صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، حديث ٢٣٨٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه. —

الشاهد

ابن المنير التفريق بين التمني والإرادة، ثم ناقش اشتراط العلم بالقدرة على الوفاء؛ لأن من نوى الوفاء مما يفتحه الله عليه داخل في رجاء الحديث، وقد يعينه الله في الدنيا أو يتكفل عنه في الآخرة.³³ فالنية الصادقة لا تشترط حضور المال كله ساعة الاقتراض، وهي في الوقت نفسه وجهة تظهر في الاختيار، وليست عبارة تستر تعمد التبديد.

من أراد الأداء سأل قبل الدين: لماذا أحتاجه؟ وهل يوجد طريق أخف؟ وما القسط الذي أحتمله في حال انخفاض دخلي؟ ثم وثق، وقرأ، وحفظ مال الدائن كما يحب أن يحفظ الناس ماله. وإذا تغيرت قدرته لم يختف، بل بادر إلى الصراحة وطلب مهلة أو تسوية مشروعة.

ليس في هذا إغلاق لباب القرض. الناس يحتاج بعضهم إلى بعض، وقد يدخل المرء في دين لحاجة معتبرة وهو صادق العزم. شرح الحديث يفتح له باب الرجاء في عون الله، ولا يضع فوق عسره اتهاماً. لكنه في الوقت نفسه يفضح من يأخذ وفي قلبه خطة الإلتلاف، أو يتوسع لأنه يظن أن النية الحسنة تكفي ولو لم يبذل سبباً.

33 ابن حجر، فتح الباري، شرح ترجمة «باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إلتلافها»، وشرح الحديث (٢٣٨٧). — [الشاهد](#)

ومن خداع المال أن ينسى المدين ما في ذمته من حقوق وهو ينظر إلى الرصيد الذي في يده. يوسع في الكماليات، ويؤخر من أتمنه، ثم يشتكي ضيق البركة. بداية الإصلاح أن يرى الاسم الصحيح: في هذا الرصيد حق ينتظر صاحبه. لا تفسد الفرحة بالحلال، لكن لا تبني الفرحة على نسيان الأمانة.

سلامة طريق الكسب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾³⁴. وفي إضافة الأموال إلى الجماعة تذكير بتشابهك حقوق الناس ومصالحهم؛ فالمجتمع الذي يأكل بعضه مال بعض يهدم الثقة بين أفرادهِ. ما يربحه المعتدي اليوم يعود خوفاً ونزاعاً وتعطيلاً للثقة غداً.³⁵

يطلب الرضا المعتبر مع سلامة المعاملة من المحرمات. ويظهر اتصال هذا الأصل بموضوع البركة في حديث الصدق والبيان المتقدم: يكشف البائع العيب المؤثر، ويحفظ الطرفان حقوقهما، ثم يرجوان الخير في بيعهما.

34 القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ٢٩. — [الشاهد](#)

35 تفسير الطبري، النساء: ٢٩. — [الشاهد](#)

إن التجارة عن تراض تحتاج لغة مفهومة، وسعرا معلوما،
وعيبا مبينا، ومساحة حقيقية للاختيار بقدر ما يقتضيه العقد.
وفي المسائل التي يعجز عنها القارئ العام يرجع إلى أهل
الاختصاص والفقه، ولا يستبدل شعوره بالحكم. لكن الأصل
القلبي واضح: مال أخيك ليس ساحة اختبار لذكائك.

٥ — الصدقة والإنفاق وبقاء النفع

يكون خير المال فيما ينفع صاحبه وغيره، ومن ذلك الصدقة من الكسب الطيب وما يستمر نفعه بعد الموت. ويتناول الباب فضل البذل وحدوده، مع بقاء حقوق الناس والواجبات المالية في موضعها.

الصدقة ونماء الخير

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».³⁶

يجمع الحديث ثلاثة أفعال تبدو للحساب العاجل خسارة: تخرج مالا من يدك، وتترك بعض حظ نفسك بالعفو، وتنزل عن طلب العلو بالتواضع. ثم يكشف ميزانا آخر لا يراه الحساب القصير.

لا يعني الحديث أن رصيد المتصدق لا ينقص لحظة الدفع؛ الأرقام تشهد بخروج المال. المعنى أوسع من رقم واحد: يخلف الله، ويدفع، ويثيب، ويضع في الباقي نفعاً، ويحفظ للصدقة أجرها. ولا نعين صورة من هذه الصور لكل شخص بلا

36 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٥٨٨. — [الشاهد](#)

نص. يكفي المؤمن وعد الرسول ﷺ، ولا يحتاج أن يحوله إلى إعلان يقول: ادفع مبلغا تسترد أضعافه في موعد معلوم.

وحسن الفقه يمنع أن تستعمل الصدقة لهدم واجب. من عليه نفقة لازمة أو دين حال لا يملك وفاءه لا يجعل الحماس ذريعة لأكل حق غيره. أبواب الخير يصدق بعضها بعضاً؛ لا تكون بركة التطوع في ظلم واجب. وتفصيل الموازنة بين الحقوق والصدقات موضع فقه وسؤال، لا منشور عاطفي واحد.

والعطاء لا يقتصر على المال، لكن لا نمحو خصوص النص. قد يعطي الإنسان وقتاً أو خبرة أو دلالة، وهذه وجوه خير بأدلتها، أما قوله ﷺ هنا فبدأ بالصدقة من المال. من الأمانة أن يبقى اللفظ في موضعه، ثم تجمع النصوص الأخرى لتتسع الصورة.

محق الربا وإرباء الصدقات

قد يزيد الرقم ويقل الخير. وقد تخرج التمرة من اليد ثم تعود لصاحبها يوم القيامة كالجبل. هذه ليست دعوة إلى إهمال الحساب، بل إلى ألا نجعله الحساب الوحيد. قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

كَفَّارٍ أَثِيمٍ»³⁷. وفسر الطبري المحق بالنقص والذهاب، وإرباء الصدقات بمضاعفة أجرها وتنميته لصاحبها.³⁸

قابلت الآية بين محق الربا وإرباء الصدقات. وقد تكون الزيادة العددية في طريق محرم، فيذهب خيرها، ويكون المال المبذول في الطاعة سببا لثواب ينميها الله. ويشرح الحديث الآتي نماء الصدقة من الكسب الطيب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل».³⁹

قيد الحديث الصدقة بالكسب الطيب؛ فيبدأ طريقها من مصدر المال قبل أن يبدأ من صندوق التبرع.

اشتراط الكسب الطيب

شرح ابن حجر حديث الصدقة من الكسب الطيب المتقدم بأن الطيب هو الحلال، وأن غير الطيب لا يقبل. فمصدر المال

37 القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٧٦. — [الشاهد](#)

38 الطبري، جامع البيان، تفسير سورة البقرة، الآية ٢٧٦. — [الشاهد](#)

39 صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث ١٤١٠. عَدْلُ تمرة: ما يعادلها؛ الفلو: المهر

الصغير. — [الشاهد](#)

أصل في النظر إلى العطاء، ولا يقوم التصديق بجزء منه مقام رد المظالم إلى أصحابها.⁴⁰

بقاء النفع بعد الموت

قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁴¹. في الحديث رهبة ورحمة. رهبة لأن باب العمل المباشر يغلق بالموت، ورحمة لأن الله فتح لعبده أبواباً من الخير يمكن أن يبقى جريانها بعد أن تسكن يده ويغيب صوته.

الصدقة الجارية ليست اسماً كبيراً لمشروع مشهور فحسب. مدارها على نفع باق صحيح، من مال حلال ووجه مشروع. والعلم النافع ليس كثرة الملفات ولا ضجيج النشر؛ قد يكون مسألة محررة أنقذت قارئاً من خطأ، أو مهارة مباحة علمها صاحبها بإخلاص، أو كتاباً دل على الله من غير كذب ولا غلو. والولد الصالح ليس امتداد الاسم في الوثائق؛ هو قلب تربي

40 ابن حجر، فتح الباري، شرح حديث الصدقة من كسب طيب (١٤١٠). — [الشاهد](#)

41 صحيح مسلم، كتاب الوصية، حديث ١٦٣١، عن أبي هريرة رضي الله عنه. —

[الشاهد](#)

على الإيمان والوفاء حتى صار دعاؤه بعد موت والديه باب خير لهما.

بهذا يفهم معنى البركة في العمر: قد ينتهي الزمن ولا ينتهي أثره. ليست البركة أن يطول حضور الإنسان في أعين الناس، بل أن يضع الله في عمله نفعا يبقى حيث لا يراه. وقد ينسى الناس اسم صاحب البئر ويشربون، أو يطوون اسم المعلم ويبقى العلم في عمل تلميذه. الخفاء لا يقطع النفع، ورب أثر خفي كان أسلم للقلب وأبقى عند الله.

٦ — البركة في الزواج والبيت والذرية وصلة الرحم

ورد الدعاء بالبركة في الزواج، ووصف القرآن التحية بالبركة، وجاء الوعد في صلة الرحم. تجمع هذه المعاني البيت على عبادة ورحمة وأداء حق، ويأتي تدريبها العملي في المجلد الثالث.

الدعاء للمتزوجين

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا رفاً الإنسان إذا تزوج قال «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير».⁴²

يسأل الدعاء للزوجين بركة الله والاجتماع في الخير. فيصاحب الفرخ رجاء حسن العشرة، والتعاون على الطاعة، وأداء الحقوق.

قد يفرح الناس بيوم الزواج حتى يختصروا البركة في جمال الحفل وكثرة الحضور وسعة النفقة. وهذه تكون مباحة في حدود الحلال ومن غير إسراف، لكنها لا تحمل البيت بعد

42 سنن أبي داود، كتاب النكاح، حديث ٢١٣٠؛ صححه الألباني. رفاً: دعا للمتزوج بالوفاق والخير. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)

انفضاض المجلس. الذي يبقى هو الصدق، والرحمة، وأداء الحقوق، وكف الأذى، وحسن المعاشرة، واحتمال اختلاف الطباع، والرجوع إلى الشرع عند النزاع. الدعاء يطلب عون الله على هذه المعاني، ولا يلغيها.

رعاية أسباب صلاح البيت

قد يقول زوجان: نريد بيتا مباركا، ثم يتركان المشكلات الصغيرة تتراكم لأن الحديث فيها غير مريح. لكن البركة ليست اسما لتعليق الأسباب. الاعتذار سبب، والإنصات سبب، وتنظيم المال سبب، ومعرفة الحقوق سبب، وطلب المشورة عند الحاجة سبب. هذه أسباب بشرية وشرعية بحسب تفاصيلها، وهي لا تناقض التوكل.

الدعاء بالمنزل المبارك

بعد نجاة نوح ومن معه، جاء الدعاء: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾⁴³. وبين الطبري أن القراءة تحتل طلب إنزال مبارك أو موضع مبارك، وأن الدعاء كان عند الخروج من الفلك.⁴⁴

43 القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية ٢٩. — الشاهد

44 الطبري، جامع البيان، تفسير سورة المؤمنون، الآية ٢٩. — الشاهد

كم يحتاج الإنسان هذا المعنى عند انتقالاته: بيت جديد، بلد جديد، عمل جديد، مرحلة لا يعرف عاقبتها. لا يسأل مكانا جميلا فقط، بل نزولا تحفه عناية الله، ويكون فيه الخير والسلامة وحسن العاقبة. وقد يكون المكان واسعا ثم تضيق فيه الروح بالمعصية والظلم، وقد يكون متواضعا فيجعله الله موضع سكينة ونفع.

لكن الدعاء لا يغني عن فحص المكان وأداء الحقوق. من طلب منزلا مباركا ثم بنى عقده على ظلم، أو آذى جاره، أو قطع رحمه لأجل سكنه، ناقض بأفعاله ما يطلبه بلسانه. الدعاء الصادق لا يعطل المسؤولية؛ يردها إلى الله ويمنحها اتجاهها.

التحية المباركة

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁴⁵. وفسر القرطبي وصفها

45 القرآن الكريم، سورة النور، الآية ٦١. — [الشاهد](#)

بالبركة بما فيها من الدعاء واستجلاب المودة، ووصفها بالطيب لأن السامع يستطيعها.⁴⁶

هنا لا تمسك اليد شيئاً، ولا تزور بقعة بعيدة؛ إنما تنطق كلمة. ومع ذلك وصفها الله بأنها مباركة طيبة. فالسلام ليس افتتاحاً اجتماعياً بارداً، بل دعاء بالأمن والرحمة، وإعلان أن الداخل لا يأتي بأذى، وتجديد لمعنى الأخوة في بيت قد تثقله المشاغل والخصومات.

صلة الرحم وبسط الرزق

قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه».⁴⁷

هذا نص في سبب شرعي لبسط الرزق والنسء في الأثر: صلة الرحم. يحمل المؤمن على أداء حق القرابة ورجاء ما عند الله.

صلة الرحم من جملة الأسباب التي قدرها الله، فلا تعارض بينها وبين علمه السابق بالأجل. وقد ذكر العلماء في شرح

46 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة النور، الآية ٦١، المسألة الحادية

عشرة. — [الشاهد](#)

47 صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث ٥٩٨٦، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. —

[الشاهد](#)

الزيادة وجهين مشهورين: البركة في العمر والتوفيق للطاعة، وزيادة تتعلق بما يظهر للملائكة مع سبق علم الله بما سيكون. أما تفسيرها بمجرد بقاء الذكر الجميل فليس في قوة هذين الوجهين.⁴⁸

الصلة عبادة وحق

صلة الرحم عبادة وحق للقرابة، وقد رغب الشرع فيها ببسط الرزق والنساء في الأثر. كما ورد الوعيد في القطيعة بقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع».⁴⁹ فيرجو المسلم الوعد وهو يصل لله، ولا يجعل استمرار صلته مشروطا بعائد مالي أو شكر من أقاربه.

إن صلة الرحم تربي الإنسان على احتمال اختلاف الطباع، وعلى حفظ الحد الأدنى من الخير حين لا يستطيع جمع القلوب كلها. ليس معناها أن يسلم نفسه للأذى بلا ضابط، ولا أن يفتح ماله وسره لمن يفسدهما. تفاصيل الصلة عند الضرر

48 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، شرح حديث ٢٥٥٧. عرض لمعاني الشرح، وليس اقتباسا حرفيا. —

الشاهد

49 صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث ٥٩٨٤، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛

المراد قاطع الرحم. — الشاهد

والنزاع تحتاج فقها وحكمة؛ لكن الألم لا يحول القطيعة تلقائياً إلى فضيلة، كما أن القرابة لا تحول الظلم إلى حق.

صور الصلة بحسب الاستطاعة

تتنوع الصلة بحسب القرب والحاجة والقدرة: سؤال، وزيارة مناسبة، وعون عند المرض أو الضيق، ومال حيث تدعو الحاجة إليه. ويختار القارئ ما يقدر على الاستمرار فيه، مع مراعاة أحكام الصلة عند الضرر وسؤال أهل العلم فيما يشكل.

صلاح الأزواج والذرية

من صفات عباد الرحمن أنهم يقولون: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾⁵⁰. نقل ابن كثير عن السلف أن قرّة العين المقصودة طاعة الله، لا جمال الصورة ولا اكتمال المكاسب الدنيوية.⁵¹

هذا المعنى يراجع أسئلة الأسرة. قد يفرح الوالد بدرجة أو وظيفة أو شهرة، وهي نعم مباحة، لكنه يحتاج أن يسأل: ماذا صار قلب ولدي؟ كيف يعامل الضعيف؟ هل يحفظ صلاته

50 القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٧٤. — [الشاهد](#)

51 تفسير ابن كثير، الفرقان: ٧٤. — [الشاهد](#)

وأمانته؟ النجاح الذي يملأ السيرة الذاتية ويترك الروح خاوية
لا يحقق كل ما يطلبه الدعاء.

٧ — البركة في الطعام والشراب

تتكرر نعمة الطعام كل يوم، وتتصل بها نصوص واضحة في التسمية والاجتماع والسحور والكفاية والدعاء. يجمع الباب هذه الشواهد مع أدب المشاركة وحفظ النعمة، بقدر ما يخدم موضوع البركة.

الاجتماع والتسمية وآداب الطعام

يحتاج الإنسان إلى الطعام كل يوم، ولذلك قد يظن أنه أبعد الأشياء عن المعاني الكبيرة. يأكل لينجو من الجوع، ثم يمضي. لكن السنة تدخل إلى هذا الفعل القريب، فتعلمه الاسم، والاجتماع، والرفق بالأكليين، وحسن تدبير القوت. عندئذ تصبح المائدة موضع عبودية وأدب ومواساة.

عن وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جده: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: «يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع». قال: «فلعلكم تفترقون». قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، يبارك لكم فيه».⁵²

52 سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، حديث ٣٧٦٤؛ حسنه الألباني. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)

يرشد الحديث إلى الاجتماع والتسمية: يجتمع أهل الطعام على النعمة، ويذكرون واهبها. وهذه تربية على الأدب والمواساة، لا وصفة لزيادة الغذاء بعيدا عن مشيئة الله.

من السهل أن نسمع كلمة «اجتمعوا» ثم نحولها إلى صورة مثالية لا تعرف اختلاف الناس وأحوالهم. قد يأكل شخص وحده لسفر أو مرض أو عمل، ولا يذم بذلك. الحديث أجاب قوما وصفوا حالا بعينها، وأرشد إلى سبب للبركة عند إمكانه. فالمقصود أن نحفظ فضيلة الاجتماع، لا أن نصنع من العجز عنه إثما لم يثبت.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «إن البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه».⁵³ يعلم الحديث الجماعة أدبا دقيقا: لا يبدأ المرء من موضع الخير المشترك فيستأثر به، بل يأكل مما يليه ومن الجوانب. قد يبدو الفعل صغيرا، لكنه يكشف خلقا كبيرا؛ فالبركة ليست أن يسبق المرء غيره إلى أفضل موضع، بل أن يحفظ للمائدة نظامها وللأكلين حقهم.

53 جامع الترمذي، كتاب الأطعمة، حديث ١٨٠٥؛ قال الترمذي: حسن صحيح. —

ولا نتجاوز النص فنقيس عليه كل وعاء وكل طريقة تقديم بلا نظر. المقصود الأول طعام مشترك له وسط وحواف، والأحكام التفصيلية يحررها الفقهاء. أما المعنى التربوي الظاهر فهو أن يد الإنسان لا تتحرك على المائدة كما لو كانت وحدها في العالم.

كيل الطعام وحسن التدبير

قال النبي ﷺ: «كيلوا طعامكم يبارك لكم».⁵⁴ وهذه جملة قصيرة تقاوم وهما قديما متجددا: أن القياس والحساب ينافيان التوكل، أو أن ترك الضبط أقرب إلى البركة. لقد جاء الأمر بالكيل نفسه مقرونا بالبركة.

الكيل يعرف به الإنسان ما عنده، ويقدر حاجته، ويحفظ الحقوق في الأخذ والعطاء. وليس معنى ذلك أن الرقم يخلق البركة؛ فالميزان سبب، والفضل من الله. لكنه يبين أن حسن التدبير ليس خصما للروح. المؤمن لا يبدد قوته ثم يسمى الفوضى توكلا، ولا يعبد الأرقام حتى يظن أنها تكفيه عن الله. يزن ويخطط، ويصدق، ويحمد، ويسأل البركة.

54 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث ٢١٢٨، عن المقدم بن معديكرب رضي الله عنه. — [الشاهد](#)

ومن هنا يظهر فرق مهم بين التنظيم وبين الدعوى الغيبية. نستطيع أن نقول إن جرد الطعام يقلل الهدر بحسب التجربة، وإن معرفة الاستهلاك تعين الأسرة على الشراء. لكن لا نحدد أثراً غيبياً لم يحدده النص، ولا نقول إن طريقة حديثة بعينها تضمن نزول البركة. النص أثبت أصل الكيل، أما تفاصيل الوسائل فتخضع للخبرة والمصلحة المباحة.

اتساع كفاية الطعام

قال النبي ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة».⁵⁵ وفي صحيح مسلم: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية».⁵⁶ لفظ البركة ليس في هاتين الروايتين، ولذلك نقول بدقة: الحديثان يثبتان اتساع الكفاية، ويقربان لنا صورة من الصور التي يظهر فيها معنى البركة، ولا ننسب إلى اللفظ ما ليس فيه.

قد تكون المشكلة أحياناً أن كل واحد ينظر إلى نصيبه قبل أن ينظر إلى حاجة أخيه. فإذا حضرت المواساة، انكشف أن

55 صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، حديث ٥٣٩٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه. —

[الشاهد](#)

56 صحيح مسلم، كتاب الأشربة، حديث ٢٠٥٩، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. —

[الشاهد](#)

القليل أوسع مما توهمنا. لا يعني الحديث أن نهمل حاجات الأجساد أو نلوم الجائع، ولا أن نضع نصف الطعام ثم نطالب الناس بالشبع. هو تربية على أن الكفاية ليست عملية حسابية جامدة حين يدخل فيها التعاون وترك الشره.

أثر في شكر نعمة الطعام

روى مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه: «أنه كان لا يؤتى أبدا بطعام ولا شراب حتى الدواء فيطعمه أو يشربه إلا قال: الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا، الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمتك بكل شر فأصبحنا منها وأمسينا بكل خير، فنسألك تمامها وشكرها، لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك، إله الصالحين ورب العالمين، الحمد لله ولا إله إلا الله، ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا وقنا عذاب النار».⁵⁷

هذا قول تابعي وفعل له، لا حديث مرفوع إلى النبي ﷺ. قيمته أنه يرينا كيف استقبل جيل مبكر النعمة اليومية: لم يفصل الطعام عن الهداية، ولم يكتف بطلب بقاء النعمة، بل سأل القدرة على شكرها. فالنعمة التي تتم ولا يشكرها

57 مالك، الموطأ، كتاب الجامع، جامع ما جاء في الطعام والشراب، أثر عروة بن الزبير؛ من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه. — [الشاهد](#)

صاحبها قد تزيد حسابه، أما الشكر فيرد القلب إلى المنعم ويصل اللقمة بالغاية التي يعيش لها الإنسان.

ولا نبني على الأثر سنة قولية راتبة بلفظه الكامل، ولا نعين له عدداً أو وقتاً لم يعينه. الأذكار النبوية الثابتة لها مقامها، وهذا الأثر يبقى شاهداً على فهم تابعي وعمله. وفي هذا التمييز نفسه بركة العلم: أن ننتفع بالكلمة من غير أن نرفعها فوق درجتها، وأن نحفظ للمرفوع اسمه وللأثر اسمه وللاستنباط حده.

بركة السحور

قال النبي ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»⁵⁸. وبين النووي أن من وجوه البركة التقوي على الصيام والنشاط له، وأن وقت السحر قد يجتمع فيه استيقاظ وذكر ودعاء وتأهب للفجر.⁵⁹

هذه بركة قريبة يفهمها الجسد، وأخرى أوسع يعرفها القلب. لقيمات تعين على عبادة يوم كامل، واستيقاظ قبل الفجر

58 صحيح البخاري، كتاب الصوم، حديث ١٩٢٣، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. —

الشاهد

59 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور، شرح حديث

١٠٩٥. — الشاهد

يفتح بابا للذكر والصلاة. وليس السحور شرطا لصحة الصوم، لكنه هدي نبوي يخفف المشقة ويخالف طريق من شدد على نفسه بغير دليل.

الخطأ أن نأخذ كلمة «بركة» فنحولها إلى مادة حسابية جامدة: من أكل مقدارا كذا ضمن نشاطا كذا. الناس تختلف أبدانهم وأعمالهم، وقد يمرض الصائم أو يضعف مع سحوره. النص يعد بخير في الهدي، لا بإلغاء قوانين البدن ولا بإسقاط حاجته إلى الماء والغذاء والعلاج في وقته المشروع.

موضع البركة في الطعام

عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث. قال وقال «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان». وأمرنا أن نسأل القصعة قال «فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة».⁶⁰

ليست البركة هنا حجما يراه بعينه. قد تكون في آخر لقمة، أو في جزء بقي على إصبع، أو في موقف يتعلم فيه المرء ألا يحتقر نعمة الله. لا يعرف الأكل موضعها، ولذلك يتأدب مع

60 صحيح مسلم، كتاب الأشربة، حديث ٢٠٣٤. نسلت القصعة: نمسح ما بقي فيها من الطعام ونأكله. — [الشاهد](#)

الطعام كله. بهذا الأدب تنكسر عادة الاستهانة: أن يأخذ فوق حاجته، ثم يلقي الصالح، ثم يطلب في دعائه سعة الرزق. ولا يأمر الحديث بأكل ما يضر؛ فقد نص على إزالة الأذى. الشريعة التي علمت صيانة النعمة لم تلغ العقل ولا حفظ البدن. وإنما نهت عن أن يترك الإنسان الطعام الصالح تكبرا أو غفلة. وإذا نقلنا المعنى إلى موائدنا اليوم، لم نحتج إلى تكلف: نأخذ قدر الحاجة، ونحسن حفظ الباقي، ونقدمه لمن ينتفع به قبل فساد، ونعلم الطفل أن ما بين يديه رزق لا لعبة.

المواساة عند قلة الطعام

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»⁶¹. لم تكن فضيلتهم أنهم امتلكوا مخزنا لا ينفد؛ ظهرت فضيلتهم حين قل الموجود. الأزمة كشفت ما في القلوب، ثم تحولت الأخوة إلى عمل مفهوم.

61 صحيح البخاري (٢٤٨٦). — الشاهد

مدح الحديث تعاون الأشعريين عند قلة الطعام. وهو شاهد على المواساة واتساع الانتفاع بالموجود؛ ولا يتضمن لفظه إثبات تكثير خارق للطعام أو إلغاء ملكية الناس. يبقى التطبيق قائماً على الرضا وصيانة الحقوق.

الدعاء للمطعم بالبركة

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: «نزل رسول الله ﷺ على أبي، قال: فقربنا إليه طعاماً ووطبة فأكل منها، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى — قال شعبة: هو ظني، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى بين الإصبعين — ثم أتى بشارب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا. فقال: اللهم بارك لهم في ما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم».⁶²

جمع الدعاء الرزق والمغفرة والرحمة، فشمل نعمة المعاش وصالح العاقبة.

هذا الجمع يصح فهما شائعا. قد يطلب الإنسان البركة في طعامه وماله، لكنه أحوج إلى مغفرة تمحو ذنبه، ورحمة تصلح قلبه وعاقبته. لو كثر الرزق وبقي القلب بعيداً، لم تكتمل

62 صحيح مسلم، كتاب الأشربة، حديث ٢٠٤٢. الوطبة: طعام من التمر والأقط والسمن. أثبت تعليق شعبة كما ورد في الرواية. — [الشاهد](#)

النعمة. ولو ضاق بعضه وحضر الرضا والمغفرة والرحمة، وجد العبد خيرا لا يظهر كله في الحساب.

وفي أدب الضيافة لا يقتصر المسلم على الثناء على جودة الطعام، بل يدعو لأهله. الدعاء لا يكلف مالا، لكنه يرد المعروف إلى معناه: هؤلاء أكرموني مما رزقهم الله، فأنا أسأل الله أن يبارك لهم فيما رزق، ثم يزيدهم من الخير ما هو أعظم من المائدة.

٨ — البركة في الوقت والعمر والعلم والعمل

لا يستوي امتداد العمر مع حسن الانتفاع به. وينظر هذا الباب في البكور والصحة والفراغ والعلم النافع، مستندا إلى النصوص الخاصة بكل معنى، مع مراعاة اختلاف الأحوال والقدرات.

البركة في البكور

عن صخر الغامدي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أول النهار. وكان صخر رجلا تاجرا، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله.⁶³

يدل الحديث على فضل البكور، ويفتح بابا لحسن توزيع العمل. لكنه لا يجعل كل بدء مبكر ضمانا للربح، ولا يذم من ألجأه مرض أو عمل أو ظرف إلى نظام آخر.

المنهج الصحيح أن نثبت الفضل الوارد، ونعمل به بقدر الاستطاعة، ثم نأخذ بالأسباب الواقعية. من خرج مبكرا بلا

63 سنن أبي داود، كتاب الجهاد، حديث ٢٦٠٦؛ صححه الألباني. النص يتضمن الدعاء وخبر عمل النبي ﷺ وصخر. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)

خطة ولا أمانة ولا إتقان لم يحصل بمجرد الساعة على ضمان الربح. البركة فضل من الله، والاتباع سبب، والعمل مسؤولية.

الانتفاع بالصحة والفراغ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ».⁶⁴

والغبن لا يظهر دائما في كشف حساب. قد يملك المرء يوما هادئا وجسدا قادرا، ثم يخرجهما من يده بلا معرفة لقيمتها. فإذا جاء المرض عرف ثمن الحركة، وإذا ازدحمت الواجبات عرف ثمن الساعة التي كان يبدها وهو يظنها بلا صاحب.

الصحة ليست مجرد غياب الألم؛ هي مساحة يستطيع فيها الإنسان أن يصلي قائما، ويطلب علما، ويكسب حلالا، ويحمل عن ضعيف، ويجلس مع والديه، ويصلح شيئا أفسده بالأمس. والفراغ ليس فراغ القلب من المسؤولية؛ هو قدر من الزمن لم تزاحمه ضرورة عاجلة. فإذا اجتمعا كان بين يدي الإنسان رأس مال لا يظهر في الرصيد، لكنه قد يصنع كل رصيد نافع.

ولا يفهم الحديث على أنه مطاردة دائمة للإنجاز حتى يمرض الجسد ويقسو القلب. النوم حق، والراحة المباحة تعيد

64 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث ٦٤١٢. — [الشاهد](#)

القوة، والأنس بالأهل عبادة إذا صلحت النية وأديت الحقوق. الغبن ليس أن تستريح؛ الغبن أن تتحول الراحة إلى هروب طويل، وأن يصبح الترفيه مالكا للوقت لا خادما له، وأن تمر القدرة فلا يخرج منها خير لله ولا للناس ولا للنفس.

حسن العمل مع طول العمر

عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رجلا، قال يا رسول الله أي الناس خير قال «من طال عمره وحسن عمله». قال فأى الناس شر قال «من طال عمره وساء عمله».⁶⁵

ربط الحديث الخيرية بحسن العمل مع طول العمر، وقرن شر الناس بطول العمر مع سوء العمل. فالسنون ميدان للطاعة أو المعصية، وليست طولا محمودا لذاته.

هذا الحديث يحرر القلب من وهمين متقابلين. الأول أن طول الحياة خير محض ولو ازدادت فيه الغفلة والظلم. والثاني أن قصر العمر دليل نقص أو حرمان. ليس إلينا أجل الإنسان، ولا يجوز أن نحاكم منزلته بعدد أيامه. إنما يخاطبنا الحديث في المساحة التي تحت أيدينا: ما دام العمر يمتد فليحسن العمل.

65 جامع الترمذي، كتاب الزهد، حديث ٢٣٣٠؛ قال الترمذي: حسن صحيح. — الشاهد

وحسن العمل أوسع من كثرة الحركة. يبدأ بصحة القصد وموافقة الشرع، ثم بإتقان ما تحمل الإنسان من أمانة. قد يكون في يوم الأم رعاية صابرة، وفي يوم العامل كسبا نظيفا، وفي يوم العالم مسألة يحررها فلا ينسب إلى الدين ما ليس منه، وفي يوم التاجر صدقا يمنعه من ربح سريع يمحق الثقة. الأعمال ليست سواء، والبركة قد تجعل القليل الصحيح أعمق أثرا من الكثير المختلط.

البركة مع الأكابر

وجاء عن النبي ﷺ: «البركة مع أكابركم».⁶⁶ للكبير ما لا يمنحه الكتاب وحده: أعوام جرب فيها الناس، ورأى عواقب قرارات استعجلها غيره، وعرف مواسم الشدة والرخاء. فإذا جلس الشاب إليه متعلما، اختصر على نفسه طرقا من الخطأ، واتصل حاضر الأسرة بذاكرتها.

غير أن توقير الكبير لا يعني أن كل كبير مصيب، ولا أن السن يحول الخطأ صوابا. الكتاب والسنة فوق الجميع، والحق يقبل ممن جاء به. المقصود ألا تبدأ كل أمة من الصفر، وألا

66 ابن حبان، الصحيح، حديث ٥٥٩؛ صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٧٨) على شرط البخاري. وفي ثبوته خلاف: نقل المناوي في فيض القدير (٣/٢٢٠) عن الزركشي أن في صحته نظرا وله علة، مع ذكر شواهد له. فالتصحيح هنا منسوب إلى قائله، وليس دعوى اتفاق. — [الشاهد ١](#)؛ [الشاهد ٢](#)

يحتقر جيل من قبله لمجرد أن أدواته أحدث. الخبرة نعمة، وحفظ مقام أهل العلم والفضل يحفظ للمجتمع توازنه.

الإنسان المبارك النافع

قال عيسى عليه السلام فيما قصه القرآن: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾⁶⁷. وذكر الطبري في تفسير البركة هنا النفع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الخير.⁶⁸ وهذه المعاني تفتح بابا عظيما: قد تكون بركة الإنسان في أن يحمل علما نافعا، ويدعو إلى خير، ويصلح حيث حل.

هذه البركة لا يملكها العبد استقلالا، ولا يعلنها لنفسه دعوى. هو يسأل الله أن ينفع به، ويتعلم الحق، ويعمل به، ويرحم الناس في تعليمه، ثم يترك القبول لله. ومن الخطأ أن تتحول كلمة «مبارك» إلى لقب يمنح العصمة أو يبرر الغلو. عيسى عليه السلام عبد الله ونبيه، وقد بدأ كلامه المروي في السورة بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾⁶⁹. فالعبودية أصل البركة لا نقيضها.

67 القرآن الكريم، سورة مريم، الآية ٣١. — [الشاهد](#)

68 الطبري، جامع البيان، تفسير سورة مريم، الآية ٣١. — [الشاهد](#)

69 القرآن الكريم، سورة مريم، الآية ٣٠. — [الشاهد](#)

بركة العلم والتعليم

قال ابن القيم في مطلع رسالته إلى أحد إخوانه: «الله المسؤول المرجو الإجابة أن يحسن إلى الأخ علاء الدين في الدنيا والآخرة وينفع به ويجعله مباركا أينما كان فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالى إخبارا عن المسيح وجعلني مباركا أين ما كنت أي معلما للخير داعيا إلى الله مذكرا به مرغبا في طاعته فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تحقق بركة من لقيه واجتمع به فإنه يضيع الوقت في الماكرات ويفسد القلب وكل آفة تدخل على العبد فسببها ضياع الوقت وفساد القلب وتعود بضياع حظه من الله ونقصان درجته ومنزلته عنده ولهذا وصى بعض الشيوخ فقال احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب فإنه متى ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت على العبد أموره كلها وكان ممن قال الله فيه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا».⁷⁰

70 ابن قيم الجوزية، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، مطلع الرسالة. — [الشاهد](#)

هذا كلام عالم يستنبط ويربي، وليس حديثاً مرفوعاً. لكنه يفتح نافذة على معنى قرآني عظيم: قد تكون بركة الإنسان في أن ينتقل الخير معه. يدخل البيت فيهدأ نزاع، ويجلس في مجلس فيحفظ لساناً من غيبة، ويتولى عملاً فيقيم ميزاناً، ويتعلم مسألة فيبلغها بأمانة، ويرى محتاجاً فلا يتركه وحده.

وقد يكون العلم نفسه كثيراً قليل البركة. يحفظ صاحبه الأسماء والنقول، لكنه يبخل بالنصيحة، أو يخلط اليقين بالظن، أو يجعل علمه سُلماً إلى العلو. ليست كثرة المعلومات هي البركة. البركة أن يقع العلم في موضعه: يهدي الحائر، ويمنع الظلم، ويصحح العبادة، ويزيد صاحبه تواضعاً وخشية.

٩ — موانع البركة وطريق الإصلاح

تقدم الحديث عن أسباب البركة وموانعها في مواضعها. ويجمع هذا الباب طريق التعامل مع المانع: معرفة ما ثبت به الدليل، وتركه، وإصلاح ما تعلق به من حق، من غير تفسير كل ضيق بعقوبة معينة.

الحلف ومحق بركة البيع

قال رسول الله ﷺ: «الحلف منقعة للسلعة، ممحقة للبركة».⁷¹

قد يخرج البائع من يومه بأوراق أكثر، وقد فقد بركة كسبه. وهذه من أوضح الشواهد على أن البركة ليست مرادفا للكثرة ولا للرواج.

الحلف يختصر الطريق إلى ثقة المشتري، ولا سيما إذا كثر على اللسان حتى صار أداة إعلان. قد يقول البائع: والله لم أربح، والله هذه أفضل قطعة، والله دفع فيها غيرك أكثر. فيندفع المشتري، وتتحرك السلعة. النتيجة الظاهرة ناجحة:

71 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث ٢٠٨٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه. —

تم البيع. لكن النص ينقلنا إلى ما وراء الصندوق؛ لقد دخل المحق.

أخبر الحديث بالمحق، ونؤمن بخبره دون أن نعين لكل خسارة أو خصومة صورة عقوبة غيبية. فالمقصود ترك السبب المنهي عنه، لا الانشغال بتفسير حوادث الناس والحكم على بواطنهم.

حدود الحكم على نقص النعمة

في الكلام عن موانع البركة منزلق قاس: أن يرى الإنسان مصيبة غيره فيفسرها فوراً بذنوبه. يتألم المبتلى مرتين؛ مرة بما نزل به، ومرة باتهام من لم يحمل معه شيئاً. والحق أن الذنوب لها آثار، وأن الوحي توعد على الظلم والربا والقطيعة وكفر النعمة، لكن علمنا العام لا يجعلنا نعرف السبب الخاص لكل حادثة.

لهذا ينبغي أن نميز بين مقام الموعظة ومقام الحكم على الأعيان. أقول لنفسي: راجع ظلمك، ورد الحقوق، واترك الحرام، واشكر ما عندك. ولا أقول لمن فقد ماله: أعرف الذنب الذي أفقدك إياه. الأول محاسبة، والثاني دعوى على الغيب.

أثر المعصية في محق الخير ثابت في نصوص محددة؛ فقد تقدم النص القرآني في محق الربا، والحديث الصحيح في

محق بركة البيع بالكذب والكتمان. ولا نحتاج إلى بناء هذا المعنى على كل خبر يروى في حرمان الرزق بالذنب.⁷² ومع ثبوت السبب العام، لا نحكم على مبتلى بذنب معين من عند أنفسنا.

الظلم والشح

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».⁷³

لا يذكر الحديث لفظ البركة، فلا يحمل على معادلة لم يقلها. لكنه يحذر من ظلم يصير ظلمات يوم القيامة، ومن شح يدفع إلى سفك الدماء واستحلال المحارم.

ومن صور الظلم المتصلة بالكسب: منع الأجر المستحق، وإخفاء العيب المؤثر، وأخذ حق الغير. يبدأ الإصلاح بإزالة الفعل وإعادة الحق إلى صاحبه على الوجه المشروع؛ فلا

72 أخرج ابن ماجه خبر ثوبان (٩٠، ٤٠٢٢). وقال الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٦٤): «حسن دون قوله: وإن الرجل...». لذلك لم يعتمد هنا لفظ حرمان الرزق بالذنب

دليلا مستقلا. — [الشاهد](#)

73 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٥٧٨. — [الشاهد](#)

يكفي أن يطلب الإنسان البركة في مال وهو يعلم أن فيه مظلمة لم يعالجها.

طريق الإصلاح

ابدأ بمانع تعلم وقوعه منك: كتمان في بيع، أو مال لا يحل، أو إسراف ظاهر، أو حق قطعته. سم الفعل بدقة، وأوقف استمراره، ثم أصلح ما يمكن إصلاحه. ورد الحقوق يحتاج إلى معرفة أصحابها ومقاديرها، وما أشكل من أحكامه يرجع فيه إلى أهل العلم.

لا تجعل تأخر الراحة أو الرزق حكماً بفشل التوبة والإصلاح. يتوجه العمل إلى طاعة الله وأداء الواجب، مع رجاء فضله في الدنيا والآخرة. وينقل المجلد الثالث هذه المراجعة إلى خطة صغيرة قابلة للمتابعة: فعل محدد، ودليل تعرف به بإنجازه، وموعد لإعادة النظر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

صحيح البخاري — محمد بن إسماعيل البخاري.

صحيح مسلم — مسلم بن الحجاج.

سنن أبي داود — سليمان بن الأشعث السجستاني.

جامع الترمذي — محمد بن عيسى الترمذي.

سنن ابن ماجه — محمد بن يزيد القزويني.

الموطأ — مالك بن أنس.

صحيح ابن حبان — محمد بن حبان البستي.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن — محمد بن جرير الطبري.

تفسير القرآن العظيم — إسماعيل بن عمر ابن كثير.

معالم التنزيل — الحسين بن مسعود البغوي.

الجامع لأحكام القرآن — محمد بن أحمد القرطبي.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج — يحيى بن شرف النووي.

فتح الباري شرح صحيح البخاري — أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان — أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.

رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه — محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.

أحكام محمد ناصر الدين الألباني على الأحاديث، بحسب الكتب والأرقام المبيّنة في الحواشي.

تفصل الحواشي موضع الاستشهاد في كل مصدر، وتبين الرواية أو تفسير الآية أو موضع النقل. المقابلة هنا لمواضع الاستشهاد، ولا تعني قراءة جميع المصنفات المرجعية كاملة أو إنشاء حكم مستقل على الأسانيد.

مصدر النص القرآني الرقمي

مشروع تنزيل، النص الإملائي المشكول، الإصدار ١.١. أثبتت الآيات من نصه دون تغيير، مع عزو السورة والآية. حقوق النشر لمشروع تنزيل ٢٠٠٧-٢٠٢٦؛ الترخيص: المشاع الإبداعي، نسبة المصنف ٣.٠. يسمح بنقل النص وتوزيعه كما هو، ولا يسمح بتغييره. ويحفظ إشعار الحقوق عند نقله؛ ويمكن متابعة تحديثاته عبر موقع المشروع.

المصدر والتحديثات: tanzil.net